

## المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام (شعر الفتوحات)

أولاً: الحياة الأدبية في صدر الإسلام

### 1- معنى لفظة الإسلام:

تدل كلمة الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾<sup>1</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>2</sup>.

ومن ثم أطلقت علما على ديننا الحنيف في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>3</sup>، وهو دين لسعادة الناس كافة. فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية، ويقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل.

وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.<sup>4</sup>

### 2- أثر الإسلام في الحياة الأدبية:

أحدث ظهور الإسلام تحولا جذريا في حياة الأمة العربية ونقلها من طور العصبية القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام، وتتخذ القرآن الكريم مثلا أعلى، وكان لابد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة شعر ونثرا، ومن الطبيعي أن النتائج الأدبية للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها.<sup>5</sup>

1 - سورة الزمر، الآية 54.

2 - سورة غافر، الآية 66.

3 - سورة المائدة، الآية 03.

4 - ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي-، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط: 11، 1963م، ص: 11.

5 - إحسان النص، الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، الموسوعة العربية، مقال في الإنترنت، تاريخ النشر:

10 فيفري 2013. [www.marefa.org](http://www.marefa.org).

وحين ترصد الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام من بصمات واضحة في مسيرة الأدب عصرئذ وفي سماته وخصائصه.

ومن أبرز آثاره ظهور فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة، فقد قضى الإسلام على سجع الكهان الذي كان مرتبطاً بالوثنية، ونهى الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام.

وأخذ الشعراء يعزفون عن النظم في الأغراض التي كانت حياة الرب في الجاهلية تدعوا إليها، واتجهوا إلى أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية، وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي عصرئذ.<sup>6</sup>

وهذا ما نلاحظه في شعر شعراء الفتوحات الإسلامية الذين انبروا للدفاع عن الدعوة الإسلامية تشجيعاً من الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

## ثانياً: موقف الإسلام من الشعر والشعراء

### 1- ذكر الشعر في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم هو الفرقان فيه يفرق بين الحق والباطل وفيه الهداية والهدى المبين إلى الصراط المستقيم، وهو منهج ودستور سماوي كامل لهداية الإنسان فيه مواضع وتفصيل لكل شيء، وإذا تدبره الباحث وجده آيات كثيرة في القرآن الكريم تناولت الشعر والشاعر والشعراء، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ﴾<sup>7</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾<sup>8</sup>.

<sup>6</sup> - إحسان النص: الأدب في صدر الإسلام والعصر الأموي، مقال في الإنترنت.

<sup>7</sup> - سورة الأنبياء، الآية 05.

<sup>8</sup> - سورة يس، الآية: 69

وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَنِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾<sup>9</sup>، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴾<sup>10</sup>، وقوله تعالى: ﴿ وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾<sup>11</sup>.

لقد جاءت تلك الآيات لا لتبين الموقف الإسلامي من الشعر فحسب، بل لتبين عنت المشركين وسفسطاتهم وافتراءاتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن أو ساحر، وقد ردَّ الله على جميع افتراءاتهم، وتبين وتؤكد أن القرآن الكريم كلام الله العزيز، وحي أوحاه الله تعالى إلى خاتم أنبيائه ورسوله<sup>12</sup>.

ويبدو أن القرآن الكريم وقف من الشعر والشعراء موقفين متميزين رئيسين، كان أحدهما في بداية الدعوة الإسلامية عندما هاجم القرآن الكريم الشعر والشعراء الين وقفوا حجر عثرة في سبيل الدين الإسلامي، وقد تمثل ذلك الموقف في الآيات القرآنية التي وردت في موضع واحد في القرآن الكريم، وبخاصة في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ {224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ {226} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ {227} ﴾<sup>13</sup>، وكان الموقف الثاني يتمثل في فترة الغزوات وفترة اتساع رقعة الدعوة الإسلامية، عندما كان القرآن يشجع المسلمين في سبيل نصره الحق والدين، ومؤازرة المسلمين في كفاحهم ضد الوثنية والكفر والشرك<sup>14</sup>.

### ثالثاً: مفهوم شعر الفتوحات

<sup>9</sup> - سورة الصافات، الآية: 36.

<sup>10</sup> - سورة الطور، الآية: 30.

<sup>11</sup> - سورة الحاقة، الآية، 41.

<sup>12</sup> - صباح نوري المرزوك، الأدب الإسلامي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2012م، (دت)، ص: 74.

<sup>13</sup> - سورة الشعراء، الآية 224-227.

<sup>14</sup> - صباح نوري المرزوك، المرجع السابق، ص: 75.

يسمى شعر الجهاد، وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال<sup>15</sup>، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك والمغازي ووصف الحياة الجديدة التي آلت إليها شبه الجزيرة العربية بعد مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم مبشرا ومنذرا، ويتميز بصدوره عن مشاعر صادقة مرتبطة بلحظات ومناسبات تاريخية مميزة، كالانتصار في غزوة ما، أو تحفيز الجيش على القتال، أو الحنين للأهل والأبناء، أو رثاء قتلى المسلمين وغيرها يعد سجلا تاريخيا مهما.<sup>16</sup>

فالشعراء الذين يتبعهم الغاؤون، هم الذين يكتبون الشعر في اتباع الشهوات النفسانية ويذهبون بالمبالغة إلى حد بعيد جدا في كلامهم فيسرفون ويكذبون وهذه خيانة، وما نهى عنه الله تعالى في الآية يندرج في المحظور من الأخلاق، أي يحرم على المسلم التخلق به.<sup>17</sup> وحالة الشعراء الضالون الكاذبون ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

فوصف الأودية وصف مجازي فالمراد به هنا فقط الضالون الكاذبون من الشعراء الذين ينشدون الأشعار عن هيامهم بالغلو والمبالغة وهم يثرثرون في الأشعار بكلامهم المسرف<sup>18</sup>، «أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» من أودية الكلام وفنونه ويمضون فيجاوزون الحد في المدح والهجاء «وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»، أي يكذبون في قولهم «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» من الشعراء «وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر «وَأَنتَصَرُوا» بهجوهم الكفار «مِن بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين.<sup>19</sup>

15 - النعمان عبد العالي القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1965م، (د.ط.)، ص: 241.

16 - سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 59.

17 - شهيناز ظهير، موقف الإسلام عن الشعر، مجلة القسم العربي، جامعة تيجاب، لاهور-باكستان، ع: 19، 2012م، ص: 104.

18 - المرجع نفسه، ص: 105.

19 - جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجمال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، (د.ط. د.ت.)، ص: 315.

وفي ذلك يقول تعالى أيضا: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾<sup>20</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾<sup>21</sup> تنمة لمعنى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ أي مرجع يرجعون بعد الموت.<sup>22</sup>

### 1- الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر:

إن الثابت في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنشد الشعر متمثلا به، غير أنه كان مقلوبا، كما حث حسان بن ثابت على قول الشعر في الدفاع عن الإسلام، وكان يقول له: «اهج المشركين وروح القدس يؤيدك» وروح القدس هو جبريل عليه السلام، فكان مؤيدا رضي الله عنه من جبريل عليه السلام، وهي فضيلة عظيمة لحسان بن ثابت رضي الله عنه.<sup>23</sup>

كما سأل كعب بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: يا رسول الله ما ترى في الشعر؟ فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه»<sup>24</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريد، خير من أن يمتلئ شعرا».

ويرى الأصمعي أن الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، ألا ترى أن حسان بن ثابت قد علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعر في الخير، من مرثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر-رضوان الله عليهم- لأن شعره وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل: امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى، والنابعة من صفات الديار والرحيل

20 - سورة النساء، الآية 148.

21 - سورة البقرة، الآية 194.

22 - جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص: 315.

23 - الدرر السنية، الموسوعة الحديثة، المشرف العام، علوي بن عبد القادر السقاف. [www.dorar.net](http://www.dorar.net)

24 - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 311/1.

والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروف والافتخار فإذا أدخلته من باب الخير لأن.<sup>25</sup>

وقوله صلى الله عليه وسلم، فيما روى أبو هريرة: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا يريه، خير من أن يمتلئ شعر».

فحديث النبي صلى الله عليه وسلم مقصودا به الشعر عامة، وإنما قصد به الشعر الذي لا يتفق مع آداب الإسلام، والدليل القاطع على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى الشعر واستشده، بل ورواه وكافأ عليه.<sup>26</sup>

ومن ذلك أنه لما أنشد النابغة الجعدي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى

ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلى أين أبأت ليلي؟ فقال: إلى الجنة، فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله». <sup>27</sup>

وأنشد حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:<sup>28</sup>

هجوت محمدا فأجبت عنه

وعند الله في ذلك الجزاء

فقال: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان.<sup>29</sup>

إن الإسلام لم يقف من الشعر موقف الجمود الذي يؤدي إلى خمود جذوته وإنما طور وجدد في معاني الشعر، وموضوعاته وأسلوبه وصياغته، ولم يعد فيه مجال للمعاني الساقطة التي تشنع عواطف البعض، وإنما هي معاني تتكىء على الالتزام بالعقيدة والدين والدعوة إلى

<sup>25</sup> - الحسين زروق، شعر الأربعين الأدبية 31 في أن الجهاد بالشعر كالنصح بالنيل، مجلة المحجة، ع: 416، 17 مارس 2014. [www.almahihhafes.net](http://www.almahihhafes.net)

<sup>26</sup> - مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، 1/، ص: 65.

<sup>27</sup> - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1/295.

<sup>28</sup> - ديوان حسان بن ثابت، 1/18.

<sup>29</sup> - ابن رشيق، العمدة، 1/53.

الفضائل، وبهذا أشاعت الحب والتآخي وإنما انتقل بها إلى طور جديد يلتئم مع طبيعته السمحة وآدابه العالية.<sup>30</sup>

كما طورت تعاليم الإسلام في الأسلوب والصياغة فقد تأثرت بروح الإسلام، وبعدت عن الغريب والوحشي حتى يستطيع الناس فهمها وتذوقها واتجه الشعر في صورته وتشبيهاته وأساليبه إلى بعض ما اشتمل عليه القرآن الكريم من صور بديعة وأساليب جديدة.

وإن شعر الفتوح هو شعر الدولة الإسلامية، الذي تميز بالبرقة والبساطة، وابتعد عن غلاظة الجاهلية وفضاظتها الغير مقبولة في الدين الإسلامي، كما ابتعد عن الخلاعة والشعر الذي كان يهتم بالشهوات والكلمات الناعمة، إذ أصبح الشعر يليق بالدولة الإسلامية وعصر الشريعة والهدى، حيث جاء الدين الإسلامي ليطور كافة المجالات، ويجعل الجميع يهتدي إلى الدين الحق، ومن شأن الشعر في عهد الدولة الإسلامية أن يدعوا الناس لعبادة الله الواحد الأحد، ويدعوا للقول الحسن والتقرب لله ورسوله بكل قول وعمل.<sup>31</sup>

#### رابعاً: خصائص شعر الفتوح

يتميز شعر الفتوح بخصائص عدة نذكر منها:<sup>32</sup>

- 1- اتسم شعر الفتوح بالقول الحسن والكلمة الناعمة الخفيفة، متمثلاً بالقرآن الكريم الذي اهتم بهداية الناس وتنويرهم، وهديهم للدين والذكر الحكيم دون غلاظة ولا ترويع، ولا فضاظة، فكان الشعر متأثراً بالقرآن الكريم بشكل كبير.
- 2- الالتزام بالإيجاز فكان الشعر موجزاً ومعبراً ولا يسترسل الشعراء في القول، فظهرت القصيدة القصيرة، والأبيات الخفيفة عكس ما كان الأمر في الجاهلية.

<sup>30</sup> - مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، المرجع السابق، ص: 68.

<sup>31</sup> - آية أحمد زقزوق، خصائص عر الفتوح، مقال في الإنترنت، موسوعة المرسال، تاريخ النشر: 14 فيفري 2021م،

على الساعة: 02.33، متاح على الموقع: [www.almrsal.com](http://www.almrsal.com)

<sup>32</sup> - المرجع نفسه.

3- سهولة اللفظ، كانت الأشعار في عهد الفتوح خفيفة اللفظ، لكي يفهمها كل الناس، ويدركها الكبير والصغير، لأن الهدف كان واضحا وهو الدعوة للدين الحنيف.

4- اشتمل شعر الفتوح على أخبار الجيوش، حيث وصف شجاعة الرجال، وكيفية الدفاع عن بلادهم ودينهم، وكيف كانوا أسوة حسنة لغيرهم في البلاد التي فتحوها.

5- بدأت الفتوحات الإسلامية من غزوة بدر، فكان الشعراء بمثابة ناقلين للتاريخ الإسلامي والتفاخر بالنصر.

6- اهتم الشعراء اهتماما كبيرا بوصف البلاد التي فتحها المسلمون، وتحدثوا من خلال أشعارهم عن الثقافات والديانات التي يعتنقونها.

#### خامسا: أهم شعراء الفتوحات

لقد كتب العديد من الشعراء في الفتوح، وكان منهم من شارك فيها فزاد عن الإسلام بالسيف والقلم، ووقف آخرون في ميدان القلم كما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدافعون عن الدعوة الإسلامية وإعلاء راية الإسلام في سماء النصر المبين للمسلمين، فكانوا يرشقون الأعداء بأشعارهم ويبثون الحماسة في نفوس الجنود وتقوية عزائمهم وإصرارهم على النصر المؤزر، فصدع الكثير من الشعراء بألسنتهم يجاهون الأعداء بقلمهم السيل، حيث جعلهم صاحب الطبقات في باب شعراء القرى العربية وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحري، وأشهرهن قرية المدين وشعرائها الفحول الخمسة: ثلاثة من الخزرج، وإثنان من الأوس:

1- فمن الخزرج من بني النجار: حسان بن ثابت.

2- ومن بين سلمة: كعب بن مالك.

3- ومن بلحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة.

4- ومن الأوس: قيس بن الخطيم، من بني ظفر.



5- وأبو قيس بن الأسلت: من بني عمور بن عوف.<sup>33</sup>

### 1-حسان بن ثابت الأنصاري:

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمور بن زيد مناه بن عدي بن عمور بن مالك بن النجار الأنصاري، يكنى أبا الوليد، وقيل يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا الحسام، وأمه القرية بنت خالد بن خنيس بن كعب بن ساعدة الأنصارية، كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>34</sup>

ويصنف بن عبد البر القرطبي أن عائشة رضي الله عنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه.<sup>35</sup>

متى يبدو في الداجي ....جبينه

يلح مثل مصباح الدجي المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد

نظام لحق أو نكال لمحمد

أ-موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من حسان بن ثابت وشعره: روي حديثا عن عوف الأعرابي وجريير بن حازم عن محمد بن سيرين: «أن الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش: عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب، فقال لعلي بن طالب رضي الله عنه: اهج عنا القوم الذين يهجوننا، فقال: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت، فقالوا: يا رسول الله: ائذن له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه، أو: ليس في ذلك هنالك»، ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصري وصنعاء».

<sup>33</sup> - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 215/1.

<sup>34</sup> - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقق: محمد عبد المنعم البري، جمعه طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 03، 2010، 400/1.

<sup>35</sup> - أبو عمرو بن يسوف عبد البر القرطبي، الاستيعاب، 400/1.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف لهجوم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟... فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعر من العجين، فقال له: إيت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، وكان يمضي إلى أبي بكر ليقف على أنسابهم، فكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان، قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أو: من شعر ابن أبي قحافة».<sup>36</sup>

**ب- حسان في عيون الصحابة رضوان الله عليهم والرواة:** روي عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لحسان: «اهجهم-يعني المشركين- وروح القدس معك» وأنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان: «اللهم أيده بروح القدس لمناضلته عن المسلمين»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن قوله فيهم أشد عليهم من وقع النبل».<sup>37</sup>

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنتشد الشعر؟ وقال: مثل هذا الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له حسان: قد كنت وفيه من هو خير منك-يعني النبي صلى الله عليه وسلم- فسكت عمر.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه نهى أن ينشد لناس شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال في ذلك شتم الحي والميت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

وروي ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

<sup>36</sup> - المرجع نفسه، 401/1.

<sup>37</sup> - ابن عبد البر، الاستيعاب، 402/1، 403.

قال أبو عبيدة، واجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن شعر أهل المدار حسان بن ثابت، فهو شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر أهل اليمن في الإسلام، وهو شاعر أهل القرى.<sup>38</sup>

وعن أبي عبيدة وأبي عمرو بن العلاء أنهما قالوا: حسان بن ثابت أشعر أهل الحضر، وقال أحدهما: أهل المدر.

وقال الأصمعي: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء، فقال أبو حاتم، تأتي له أشعار لينة، فقال الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه.

وروي ابن أخي الأصمعي، هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره.

وقال في موضع آخر: شعر حسان في الجاهلية أجو الشعر.<sup>39</sup>

وقال عبد الملك بن مروان: إن أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا.<sup>40</sup>

ج- شعر حسان بن ثبات بين الهجاء والرثاء: هجاء حسان بن ثابت في أبي سفيان

بن الحارث، حيث يقول:<sup>41</sup>

وأبلغ أبا سفيان عني رسالة	فما لك عن إصدار عزم ولا ورد
وإن سناء* المجد من آل هاشم	بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
وما ولدت أفناء زهرة منكم	كريما ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن أمه	ولكن هجين ليس يورى له زند
وكنت دعيا نيط في آل هاشم	كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وإن امرءا كانت سمية أمه	وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهد

38 - المرجع نفسه، 403/1.

39 - ابن عبد البر، الاستيعاب، 403/1.

40 - المرجع نفسه، 404/1.

41 - ديوان حسان بن ثابت، تحقق، وتعليق: وليد عرفات، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 3، 2012م، 222/1.

\* - ذكر البيت عند ابن عبد البر في الاستيعاب، بلفظة (سنام)، ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، 401/1.

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا كلام لم يرغب عنه ابن أبي قحافة<sup>42</sup>، ويضيف  
حسانا هجاءه في أبي سفيان كما قام بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم كرد له لما قال:<sup>43</sup>

هجوت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذلك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفو	فشر كما لخير كما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا	أمين الله حشمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم	ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه	وبحري لا تكدره الدلاء

د-وفاته: توفي حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قبل الأربعين في خلافة  
علي رضي الله عنه، وقيل: مات سنة خمسين سنة، وقيل: أنه توفي سنة أربع وخمسين، وهو  
ابن مائة وشعرين سنة، منها ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام.<sup>44</sup>

## 2-كعب بن مالك:

هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن سلمة بن الخزرج الأنصاري السلمي، يكنى: أبا  
عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بين سلمة أيضا، شهد العقبة  
الثانية، واختلف في شهوده بدر، ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى  
بين كعب وبين طلحة بن عبيد الله حسين آخى بين المهاجرين والأنصار.

كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان  
مجودا مطبوعا، قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به، ثم أسلم وشهد العقبة،  
ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا والمشاهد كلها ما عدى غزوة تبوك فإنه تخلف عنها.<sup>45</sup>

<sup>42</sup> - أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب، 401/1.

<sup>43</sup> - ديوان حسان بن ثابت، 18/1.

<sup>44</sup> - المرجع نفسه، 406/1.

<sup>45</sup> - ابن عبد البر، الاستيعاب، 381/1.

وهو أحد الثلاثة الأنصاري الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾<sup>46</sup>، وهم كعب بن ملك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم.<sup>47</sup>

### وفاته:

توفي كعب بن مالك في زمن معاوية، سنة خمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره، يعد من في المدنيين.<sup>48</sup>

ومما قاله الشعر كعب بن مالك تخوف أعداء الله ورسوله:<sup>49</sup>

قضينا من تهامة كل وتر\* وخبير ثم أعمدنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقاتل قواطعهن دوسا أو ثقيفا

وذكر أحمد بن محمد عن الزهري، أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك

قال: يا رسول الله، ماذا ترى في الشعر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن

يجاهد بسيفه ولسانه»، قال أبو عمر: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك

«أترى الله عز وجل شكر لك قولك».

زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».<sup>50</sup>

### 3- عبد الله بن رواحة:

<sup>46</sup> - سورة التوبة، الآية 118.

<sup>47</sup> - ابن عبد البر، المرجع السابق، 381/1.

<sup>48</sup> - المرجع نفسه، 382/1.

<sup>49</sup> - المرجع نفسه، 382/1.

\* - وفي رواية: كل ريب، ينظر: المرجع نفسه، 382/1.

<sup>50</sup> - ابن عبد البر، الاستيعاب، 382/1-383.

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرؤ القيس، بن عمرو بن امرؤ القيس الأكبر ابن ملك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، يكنى أبا محمد أحد النقباء.<sup>51</sup>

وعبد الله بن رواحة هو شاعر حجازي ولد في يثرب وشب وترعرع وهو خزرجي النسب، يعود أصله إلى قبائل الأزد القحطانية الذين نزحوا إلى شمال الجزيرة بعد تصدع سد مأرب، فسكن الغسانيون في بلاد الشام، وأقام الأوس والخزرج قوم عبد الله في المدينة.<sup>52</sup>

وهو شاعر فارس، وصحابي جليل، وقائد من قواد معارك الإسلام، وأحد شخصيات المسلمين الفذة الذين دافعوا عن الدين بالسنان واللسان، والسيف والقلم، والرمح والقرطاس، بأبلى في ذلك كله بلاء حسنا مشكورا، ونال الأجر والثواب عند الله تعالى ما لا يناله إلا المؤمنون المصابرون، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وشارك في أيام قومه ووقائعهم وحروبهم، وكان سيّدا من ساداتهم، ثم جاء الإسلام، فمن الله عليه بالإيمان والهداية، فكان من السابقين الأولين إليه، ثم أصبح جنديا من جنوده الباسلين الشجعان، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات والوقائع<sup>53</sup>، فشهد العقبة، وبردرا، وأحدا، والخندق، والحديبية، وعمرة القضاء، والمشهد كلها إلا الفتح وما بعده، لأنه قتل يوم موته شهيدا، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.<sup>54</sup>

51 - المرجع نفسه، 33/1-34.

52 - وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض-السعودية، ط:1، 1402هـ-1982م، ص: 20.

53 - وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 21.

54 - ابن عبد البر، الاستيعاب، 33/1-34.

## شعره:

أ-شعره في المناسبات وذكر المشركين: كثيرة هي الأبيات الشعرية التي قالها ليدعم المسلمين وهم يخرجون كفار قريش، ويسوقونهم كما تساق الإبل، تسقيها كأس الذل، وتطاردها حتى تنزلها أكناف نجد ونخلة، وتلحقها حينما اتجهت، وستظل تنتصر عليها أبد الدهر حتى تغنيها، وفي ذلك يقول:55

على مآقط وبيننا عطر منشم	وإخراجها لم يخز فيها محمد
ومن حربنا في رغم أنف ومندم	وأمسى أبو سفيان من حلف ضمضم
بذي حلق جلد الصلاصيل محكم	قرنا ابنه عمرا ومولى يمينه
سراة خمسين في لهام مسوم	فأقسمت لا تنفك منا كتائب
بمخاطبة فوق الأنوف بميسم	نزوع قرش الفكر حتى نعلها
وإن يتهموا بالخيل والرجل تتهم	تنزلهم أكتاف نجد ونخلة
ونلحقهم آثار عاد وجرهم	يد الدهر حتى لا يعوج سربنا
على أمرهم وأي حين تتدم	ويندم قوم لم يطيعوا محمدا

ثم نجد في موضع آخر يتوجه بالخطاب إلى أبي سفيان مباشرة، ويحذره بأنه إذا لم يسلم ويسجد لله مخلصا، فإن الخزي سيصيبه في الدارين معا: في الحياة الدنيا، وفي الآخر سيخلد في جهنم:56

لئن نت لم تخلص سجودا وتسلم	فأبلغ أبا سفيان إما لقيته
وسربال قار خالدا في جهنم	فأبشر بخزي في الحياة معجل

تتضمن القصيدة بعض المعاني الدينية، فالشاعر يعير قريشا بالكفر، وينسبها إليه، فيسميها [قريش الكفر] وهو يعيرها بأنها أقامت على كفرها، وعصت محمدا، وهو يدعو أبا سفيان للإسلام، وإلى أن يسجد لله مخلصا، لكن أبا سفيان أخلف مواعده، ولم يأت إلى بدر

55 - وليد قصاب، المرجع السابق، ص 89.

56 - وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 90.

كما وعد عقب انصرافه من بدر الكبرى، وذكره بما كان من هزيمة لقريش في يوم بدر، ومقتل رؤوس القوم عتبة بن الوليد، وابنه الوليد، ومصروع أبي جهل، ثم يعيرهم بعصيانهم لرسول الله، وعدم الإقبال على دينه، ويذكرهم بدينهم السيء وأنه دين غواية وضلال، ثم يشير إلى نصرتهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وفدائهم له بالأنفس والأموال، وطاعته لا يؤثرون عليه أحداً، فقد جاءهم شهاباً هادياً من الظلمات إلى النور، فيقول في ذلك: <sup>57</sup>

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد	لميعاد صدقا وما كان وافيًا
وأقسم لو وافيتنا فلقيتنا	لأبت ذليلاً وافتقدت بالمواليًا
تركنا به أوصال عتبة وابنه	وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويًا
عصيتهم رسول الله أف لدينكم	وأمركم السيء الذي كان غاويًا
فإني - وإن عنفتموني - لقائل	فدى لرسول الله أهلي وماليًا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره	شهاباً لنا في ظلمة الليل هادياً

فابن رواحة يقارن بين موقف قريش وموقف الأنصار من النبي صلى الله عليه وسلم، فحين عصته قريش ولم تقبل دينه، خرج منهم من يطيعه ويصدقه ويؤمن به. فالشاعر ينعي دائماً في شعره قريشاً بدينها، وينعي عليها ضلالها وفساد أمرها في كثير من موقع.

ب- شعره في ذكر الإسلام ورسوله الكريم: لقد تأثر عبد الله بن رواحة بأفكار الإسلام وألفاظه وعباراته بشكل واضح، فكان شعره بما تشيع فيه من ألفاظ وأفكار قرآنية، حيث يقول: <sup>58</sup>

شهدت بإذن الله أن محمداً	رسول الذي فوق السموات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كليهما	له عمل في دينه متقبلاً
وأن الذي عاد اليهود ابن مريم	رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

<sup>57</sup> - المرجع نفسه، ص: 90.

<sup>58</sup> - وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 93.



وَأَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ يَعْدِلُونَهُ      يجاهد في ذات الإله ويعدل

فبيستشهد بالله أن محمدا رسول حق أرسله الله المتربع على عرش السماوات، ويذكر  
أبا يحيى ذكريا عليه السلام، ويشير إلى العزى-إحدى آلهة الجاهلية- وإلى اليهود وابن مريم،  
وإلى هود - عليه السلام- أخي الأحقاف مقتبسا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَا  
قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾.<sup>59</sup>

ويذكر في موضع آخر ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقاه وورعه وعبادته،  
ويذكر الحشر بعد الموت ويشير إلى إيمانه بهذا إيماننا لا يخالجه الشك إذ يقول:<sup>60</sup>

وفينا رسول الله يتلو كتابه      إذ انشق معروف من الصبح ساطع  
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا      به موقوفات أن ما قال واقع  
بييت يحافي جنبه عن فراشه      إذا استتقلت بالكافرين المضاجع  
واعلم علما ليس بالظن أنني      إلى الله محشور إليه وراجع

وهناك مقطوعة لابن رواحة مزج فيها مديح للنبي صلى الله عليه وسلم وهجاء بعض  
أبناء قريش، حيث روي هشام بن عروة عن أبيه، قال سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا أجرا  
ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له يوما:  
قل شعرا تقتضيه الساعة، وأنا أنظر إليك فقال:<sup>61</sup>

إنني تفرست فيك الخير أعرفه      والله يعلم أن ما خانني البصر  
أنت النبي ومن يحرم شفاعته      يوم الحساب لقد أزرى به القدر  
فثبت الله ما آتاك من حسن      تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

59 - سورة الأحقاف، الآية 21.

60 - وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص ص: 93-94.

61 - ابن عبد البر، الاستيعاب، 35/1.

كما خص آل هاشم بالمدح، فذكر أن الله فضلهم على غيرهم واختار رسولا منهم،

فقال: <sup>62</sup>

يا آل هاشم إن الله فضلكم      على البرية فضلا ماله غير  
فخبروني أثمان العباء متى      كنتم بطاريق أو داننت لكم مضر

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كره منه قوله (أثمان الغباء)، فأشعر عبد الله بن

رواحة يصلح ما قاله في: <sup>63</sup>

نجال الناس عن عرض فنأسرهم      فينا النبي وفينا تنزل السور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا      حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

ومن شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم: <sup>64</sup>

لو لم تكن فيه آيات مبينة      كانت بديهته تتبيك بالخبر

فثبت الله ما آتاك من حسن      قفوت عيسى بإذن الله والقدر

نلاحظ أن شعر عبد الله بن رواحة تظهر فيه المعاني الإسلامية، ولا شك أن طبيعة

الموضوع تستدعي وجود هذا الأثر، كما تعكس إخلاص الشاعر للدين الإسلامي، وولاءه

لرسوله الكريم، وإقراره بفضله وجهاده، فقد أخرجهم من ظلام الجهل والوثنية إلى نور الإيمان

والهداية.

<sup>62</sup> - المرجع نفسه، ص: 94.

<sup>63</sup> - المرجع نفسه، ص: 94.

<sup>64</sup> - وليد قصاب، ديوان ابن رواحة، ص ص: 94-95.